ولا يمكن ان يستوى غير النبي في الثواب والقرب والمنزلة عنده تعالى فضلاً ان يكون افضل منه وهذا
هو مذهب اهل الحق وجميع فرق الاسلام الا المعتزلة في الملائكة المقربين والامامية في الائمة الاطهار ولهم
في هذه المسئلة تنازع وتخالف كثير فيما بينهم ولكنهم اجمعوا على ان الامير افضل من غير اولى العزم من
الرسل والانبياء وليس بافضل من خاتم النبيين عليه وعليهم السلام واما غيره من سائر اولى العزم
فقد توقف فيه بعضهم كابن المطهر الحلي وغيره ويعتقد بعضهم انه مساولهم وهذا مخالف لما
ورد عن الائمة فقد روى الكليني عن هشام الاحول عن زيد بن علي ان الانبياء افضل من الائمة
وان من قال غير ذلك فهو ضال وروى ابن بابويه عن الصادق ما ينص على ان الانبياء احب
الى الله من علي ولكتاب الله لانه يدل في جميع اياته على اصطفاء الانبياء واختيارهم على تمام
العالم والعقل يدل صريحا على ان جعل النبي واجب الاطاعة وجعله آمراً وناهياً وحاكماً على
الاطلاق والامام نائباً وتابعاً له لا يعقل بدون فضيلة النبي عليه ولما كان هذا المعنى موجوداً
في حق كل نبي ومفقوداً في حق كل امام لم يكن امام افضل من نبي اصلاً بل يستحيل لان النبي
متوسط بين العبد والرب في ايصال الفيضان اليهم فمن يستفيض منه لو كان افضل منه
او مساوياً له لزم ان يكون ارفع منه في ايصال الفيض ومفيضاً له او مشتركاً به في الايصال
وهذا خلف وهم يقولون ان الامامة نيابة النبوة ومعلوم ان مرتبة النيابة لن تبلغ مرتبة
الاصالة ابداً فضلاً ان تفوقها وتمسكهم في هذا الباب عدة شبهات واهية ناشئة
من عدة اخبار اثبتها متقدموهم في كتبهم فحكموا بموجبها وقد تبين حال رواياتهم و
رجالهم وكيفية الحكم بصحة الاخبار الصادرة من علمائهم التي لا يستقيم الاحتجاج بها على
وفق القواعد الاصولية لانها معارضة للاجماع القطعي قبل ظهور المخالف فلا يجوز القول بظاهر
تلك الروايات بل يجب ان تأول وايضا هي معارضة للروايات الاخر كرواية الكليني عن زيد
بن علي وابن بابويه عن الصادق المذكورة آنفاً وخبر الواحد وان كان بلا معارض ايضاً ظني لا
لا يتمسك به في اصول العقايد بل هو عند محققي الشيعة الامامية كابن زهرة وابن ادريس
وابن البراج والشريف المرتضى واكثر قدمائهم غير صالح للاحتجاج به وقد اختار متأخروهم
هذا المذهب ولهذا لم يعدوا اخبار الاحاد في الدلائل بل اوجبوا ردها خصوصاً في الاعتقادات
قال ابن المطهر الحلي في مبادي الوصول الى علم الاصول ان خبر الواحد اذا اقتضى علماً ولم يوجد
في الادلة القاطعة ما يدل عليه وجب رده وظاهر ان مدلول هذه الروايات ليس موجود
في الدلائل القطعية بل خلافه يوجد ومع قطع النظر عن هذه الامور كلها لا دلالة ايضاً لتلك
الروايات على المدعى ولنذكر عدة من شبهاتهم ونبين عدم دلالتها على مدعاهم فنقول الشبهة

الاولى

٢٧

الاولى ان الائمة كانوا ازيد من الانبياء علماً فيكونون افضل منهم رتبة ايضاً لان الله تعالى يقول
قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقد روى الراوندي عن ابي عبد الله قال ان
الله فضل اولى العزم من الرسل على الانبياء بالعلم وورثنا علمهم وفضلنا عليهم وعلم رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ما لا يعلمون وعلمنا علم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتلا الاية المذكورة
الجواب عن هذه الشبهة بان هذا الخبر بعد تسليم صحته يدل على زيادة الائمة في العلم واستيعابهم
علوم المرسلين لان المتاخر يكون مطلعاً على علم المتقدم وناظراً فيه فيحيط بعلمه بخلاف المعاصر
والمتقدم فانه لا يمكن له ذلك مثاله ان النحوى في هذا العصر يكون مطلعاً على مسائل اللباب
والوافي وتصانيف ابن مالك وابن هشام والازهري وغيرهم ممن سبقوا من النحاة ويكون
بلا شبهة علمه بمسائل النحو ازيد من علم كل من هؤلاء المذكورين لان كل واحد منهم لم يكن
مطلعاً على المسائل المستخرجة لغيره والافكار الناشئة من طبع لبيبه وقد تقرر ان الصناعات
انما تتكامل بتلاحق الافكار وهذا النحوى المتاخر حصل له الوقوف على كل منها ومع هذا لا يكون
رتبته في النحو مساوية لرتبة احد من اولئك العلماء فضلاً عن ان يتقدم عليهم لان الرسوخ في العلم
وتعمق النظر والغور والفكر ومعرفة المسائل بدلائلها ودراية المأخذ لكل دقيقة واستخراج
المسائل النادرة بقوة الفحص والتتبع في كلام العرب بالاصالة فضيلة لا يبلغها الاستيعاب
والعبور بتلك المسائل اصلا وكذا المنطقي في هذا الزمان لا يكون مساوياً في المرتبة
للمعلم الاول والمعلم الثاني والشيخ الرئيس فضلاً عن ان يقال انه افضل منهم وسابقهم في
الدرجة مع انه يعلم مستخرجات كل منهم بحيث لم يكن لكل منهم الاطلاع بها اصلاً والذي قرأ
العروض لا يفوق خليل بن احمد سلمنا ولكن لا يلزم من كثرة العلم كثرة الثواب ومدار
الفضل عند الله على كثرة الثواب لا على كثرة العلم والا فيلزم تفضيل الخضر على موسى وهو خلاف
الاجماع سلمنا ولكن كثرة العلم الموجبة لكثرة الثواب هو العلم الذي يكون مدار الاعتقاد
والعمل عليه لا العلوم الزائدة وذلك العلم هو المراد في الاية المذكورة وكل نبي كان ذلك العلم
حاصلاً له بوجه اتم ولو كان للائمة او لغيرهم من العلماء فضل وزيادة في العلم يكون
ذلك في العلوم الاخر والدليل على هذا المدعى ان كل نبي لو لم يكن العلم الذي عليه مدار
الاعتقاد والعمل حاصلاً له بوجه اتم كيف يخرج عن عهدة التبليغ وبيان الاحكام وكيف
يتم غرض البعثة ومع قطع النظر عن هذه الامور كلها لا يذهب عليك ما في هذه الرواية
من الخلل والفساد فان توريث الائمة علم الانبياء وتفضيلهم عليهم بذلك التوريث كما ذكر
فيها يلزم منه ان يكون الائمة افضل من نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ايضاً اذ وجه التفضيل

Copyright © King Saud University